موقف توماس هل جرين من فلسفة جون لوك التجريبية

إعداد

هنيه حمدى خليل

معيدة بقسم الفلسفة كلية البنات

إشراف

أ.د/ سعد عبد العزيز حباتر
أستاذ الفلسفة الحديثة والمعاصرة والأخلاق والمعاصرة
قسم الفلسفة – كلية البنات

د/ دعاء وجدي محمد
مدرس الفلسفة الحديثة
قسم الفلسفة ـ كلية البنات ـ

نقد جرين لفلسفة جون لوك التجريبية.

تمهيد:

إن اقتناع توماس هل جرين بالنزعة العقلية المثالية , واعتناقه لها , ونبذ كل ما يخالفها وخاصة الاتجاهات التجريبية المحضة, قد فرض عليه أن يوجه سهام نقده لهذه الفلسفات التجريبية , وأن يفند أقوالها.ولعل من العوامل التى دفعت بهذا الفيلسوف إلى اتخاذ مثل هذا الموقف من تلك الفلسفات هى:

أولا:عامل سلبى أو نقدى , وهو ضيقه الشديد بذلك النوع من الفلسفة التجريبية التى اعتاد الناس فى عصره , أن يعتبروه مثالاً للفلسفة البريطانية().

ذلك أن جرين قد بدأ عمله العلمى فى أكسفورد فى فتره كانت فيها تقتفى أثر "جون ستيورات مل" فى الفلسفة, وهو الفيلسوف الذى تجمعت عنده الأفكار الرئيسية للمذهب التجريبي فى وحدة متسقة إلى أبعد حد . كما كان الطلاب يقبلون على قراءة مؤلفاته ، وخاصة كتابه " المنطق" بحماس شديد ().

ومن ثم، رأى جرين أن من الضرورى خوض صراع ضد هذه الفلسفة القائمة على المذهب التجريبى والمذهب الطبيعى عند دارون وسبنسر ولوك وهيوم وغيرهم. وكان جرين يهدف من كل ذلك إلى بيان التضارب المتضمن فى هذه المذاهب. ولهذا الغرض ، ظهرت دراسته التحليلية على شكل مقدمتين بإضافة جديدة لبحث هيوم فى الطبيعة البشرية , وهما يمثلان نقداً أساسياً للتعاليم النظرية والعملية للحركة التجريبية من لوك إلى هيوم().

لذلك وجه جرين همه منذ البداية إلى محاربة المذهب الحسى والإلحاد ومذهب اللذة, أى إعادة العقل فى المعرفة , والله فى الدين, والخلقية فى السيرة. فالمعرفة لا تستغنى عن العقل إذ لا معرفة بدون علاقات تربط بين الظواهر فتؤلف الأشياء ومبادئ العلم وهذا الربط يكشف لنا عن وحدة الوجدان (كما بين كانط) فلا يمكن اعتبار الوجدان نتاجاً ألياً للتطور البيولوجي بعيدا عن العقل().

كما يرى جرين أيضاً أن هؤلاء الفلاسفة التجريبيين , وعلى رأسهم جون لوك , قد افترضوا أنه يمكن الوصول إلى الحقيقة من خلال أفكار الاستبطان وأفكار الإحساسات , وليس لديهم نظرية تفكير يمكن الاعتماد عليها ، فليس لديهم إدراك مباشر لإعمال العقل البشرى, ونظروا إلى العقل البشرى كأنه إنسان ألى معزول ميكانيكياً يسعى إلى السعادة وتجنب الألم.

فلقد آمن جرين بأن المفهوم الحقيقى للفلسفة إنما هو فى الفلسفة الألمانية فى الرؤية العميقة للحياة التى أنشأها الشعراء المتأملون فى الطبيعة, أى الشعراء الرومانسيون أمثال " كارليل " و" روزوث" كما أنها فى مفاهيم الدين الإنجيلي. حيث لم يستبدل جرين الشعر أو الدين بالفلسفة. ولكنه على الرغم من ذلك , أحس بعمق أن لدى الشعر والدين دروساً هامة يتم إعطاؤها للفلاسفة ().

وهكذا , إذن , يتبن الفارق بين فكر جون لوك وفكر جرين المثالى , لذلك فإن من الطبيعى أن ينتقد جرين جون لوك ، ويؤكد على أسبقية العقل على التجربة المادية . كما يؤكد أيضاً على أن الفكر هو الحقيقة كلها().وأن العقل هو مصدر المعرفة ، وهو أداة العلوم الأخلاقية . فالمعرفة لا تستغني عن العقل إذ لا معرفة بدون علاقات تربط بين الظواهر وبعضها البعض , لذلك فإن الوجود الحقيقى يكون للعقل وليس للحواس أو الوجدان.

كما أن جون لوك , فى مقاله عن العقل , فى الفصل الأول من الكتاب الثانى , يتحدث عن العقل بوصفه صفحة بيضاء فارغة تخط عليها التجربة ما تشاء. وبالتالى فإن كل معارف الإنسان مكتسبة عن طريق الخبرة الحسية. وهذا هو بالضبط ما يعترض عليه جرين بشدة().

ثانياً: أما العامل الإيجابي الذى دفع بجرين إلى شن حملة شعواء على كل اتجاه تجريبى فى الفلسفة ، فهو إعجابه بالفلاسفة المثاليين من الألمان من أمثال كانط وهيجل مما دعاه أحيانا ، بعد اعتناقه المثالية الألمانية إلى أن يصف فلسفته بالفلسفة الكانطية أو الهيجلية الجديدة().

جرين والفلسفة المثالية في انجلترا.

لقد بدأ جرين عهداً جديداً فى تاريخ الفلسفة الإنجليزية ، عندما لفت الانتباه من جديد إلى أهميه الفلسفة الألمانية, وفى التحول الجدلى الذى كان السبب الرئيسى فى ظهور الحركة المثالية الكبيرة(). وبذلك تأثر جرين بفلسفة كانط وهيجل ، وكان يستشهد بالفكرة الهيجلية القائلة بأن الفلسفة تتقدم بطريقة ديالكتيكية ، مستهدفه إيجاد نظرة متزايدة المعقولية إلى الأشياء, ولا جدال فى أن المذهب التجريبى كان أحد العوامل الهامة فى اتجاهه نحو المثالية().

ومن هنا كان رفض هذا الفيلسوف للمذهب التجريبى النفعى بعامة والذى كان سائداً فى انجلترا آنذاك، وشن الهجوم عليه. والحقيقة أن رفض هذه المذاهب قد بدأ من قبل جرين عند كولريدج ، ثم عند كارليل ولكنه بلغ ذروته عند جرين.

وقد كان لجون لوك بوصفه المؤسس الحقيقى للاتجاه التجريبى فى الفلسفة البريطانية ، فيما يرى جرين، نصيب الأسد من نقده له وتفنيد آرائه . كما خص ديفيد هيوم أيضا ، باعتباره تابعاً لجون لوك، متأثراً به ، جزء ليس بالقليل من هذا النقد والتفنيد.

إلا أنه لا ينبغي أن يفهم من هذا أن جون لوك قد خلق هذه النزعة التجريبية فى تاريخ الفكر الإنجليزي من العدم . فلم يكن جون لوك هو أول فيلسوف تجريبى فى ثقافة بلاده ، بل سبقه إلى هذه النزهة التجريبية فلاسفة آخرون مهدوا له الطريق من أمثال " فرنسيس بيكون" Francis Bacon (1561- 1626) الذى وضع أسس الاستقراء العلمى التجريبى فى مقابل القياس العقلى.

أما الفيلسوف الآخر الذى سبق جون لوك فى هذا الاتجاه التجريبى ، فهو الفيلسوف الإنجليزي " توماس هوبز" Thomas Hobbes (1588- 1679) . ذلك أن هوبز إنما هو فيلسوف تجريبى لا يختلف كثيراً عن غيره من الفلاسفة التجريبيين الذين جاءوا من بعده من أمثال جون لوك John Lock (1632- 1704) ، وجورج باركلى George Berkeley (1685- 1753) الذى يمكن اعتباره مادياً بمعنى ما أيضاً ، وديفيد هيوم David Hume 1711- 1776) وهو أحد أهم الفلاسفة التجريبين لأنه وصل بفلسفتى لوك وباركلى التجريبيين إلى نتائجهما المنطقية فيما يقول برتراندرسل(). إلا أن هوبز يختلف عن هؤلاء الفلاسفة فى أنه كان مغرماً بالمنهج الرياضى وتطبيقاته.

إذن فقد سبق جون لوك ، فى هذا الاتجاه التجريبى أيضاً ، هوبز الذى اتجه فى فلسفته اتجاهاً مادياً نتيجة لإعجابه بالهندسة من ناحية، وتأثره بالمنهج الحسى اليونانى من ناحية أخرى. فالمادية , عند هوبز، أساس كل الظواهر الموجودة على الأرض, كما أن الحركة هى الأساس فى كل ما يحدث من تغير . ويذهب هوبز إلى أن لكل معلول علة أوجدته , ويرى أن الإحساسات هى مصدر كل معرفة إنسانية( ).

فالحواس ، عند هذا الفيلسوف، هى مصدر كل تصور فى العقل البشرى، وهو مستخدمها وليس ناتجاً عن العقل نفسه. والمعرفة تتم عن طريق طبع موضوع المعرفة فى الخارج لصورته

على عضو الإحساس بطريقة مباشرة كاللمس والذوق أو بتوسط كما هو الحال فى الرؤية والسمع والشم( ).

وأمام هذا البنيان التجريبي المتماسك والضارب بجذوره فى الفكر الإنجليزي ، يرى توماس هل جرين أن تغيره , وخاصة إلى العكس تماماً، يقتضى – قبل المناداة بالجديد – زعزعة القديم وتقويض اركانه0 وهذه الخطوة الأولى تكون بمثابة تطهير لهذا الفكر من كل ما علق به من هذه النزعة التجريبية القديمة، وتخليصه منها استعداداً لاستقبال الجديد.

لقد أدرك جرين ، منذ البداية، أن التراث الانجليزي التجريبي هو العقبة التى يتعين إزاحتها، وأنه لا يكفى أن يوضع الجديد محل القديم، وإنما ينبغي أولا زعزعة القديم وتقويض أركانه. ولذلك كان من الضروري خوض معركة ضد الفلسفات القائمة على المذهب الطبيعى أو مذهب المنفعة العامة عند بنتام ومل وسبنسر وداروين ، وهكسلى ، وسدجويك من جهة، وبين مثالية كانط وهيجل وفشتة وشلنج من جهة أخرى. وهكذا يصادف المرء فى كل شيء كتبه جرين ، تقريبا فى المحاضرات التى تركها ضمن مخلفاته، وفيما أعده للنشر، نضالاً مستمراً عنيفاً ضد الفلاسفة القائلين بالمذهب الطبيعي. بل أن أول أعماله وهما "مقدمتان لأعمال هيوم" تحمل ذلك الطابع المميز ، ألا وهو الربط الوثيق بين المناداة بالجديد، وبين إعلان الحرب على القديم().

وهكذا كان لجرين دائما عدو يواجهه، وتلك هى الطريقة الوحيدة التى كان يستطيع أن يفكر بها. ومع ذلك ففى تلك المرحلة المبكرة التى يمثلها من مراحل التأثر بالفلسفة الألمانية، لم يكن العمل الجديد البناء قد بدأ بعد، رغم أهمية مساهماته التمهيدية، اى أن رسالة جرين فى تاريخ الفلسفة كانت قبل كل شيء إزاحة المذاهب القديمة من ميدان الفلسفة والدعوة للتفكير بهذه الطريقة الجديدة التى يراها().

موقف جرين النقدى من الفلسفة التجريبية:

ومن ثم فقد كان "جرين " ، مثل " فرير" ، مقتنعاً بأن الفلسفة الانجليزية القائمة، قد وصلت إلى مأزق، وأن الأمل الوحيد فى تقدم هذه الفلسفة هو مراجعة المقدمات التى أوصلتنا الى هذه الأزمة. لذلك وجه جرين اهتمامه إلى الفلسفة الألمانية ليجد طريقاً للهرب والإفلات من هذا الموقف. لذلك يقول جرين فى المقدمة الثانية من كتابه ، مقدمات لدراسة رسالة هيوم عن الطبيعة البشرية ، إن تحليله النقدي للتراث البريطاني يستهدف الكشف عن أن الفلسفة التى تقوم على أساس تجريد الشعور من ميدان الأخلاق، وكذلك من ميدان الطبيعة ، قد وصلت إلى نهايتها عند هيوم، وأن الخطوة التالية للتقدم إلى الأمام ، فى مجال الفكر النظرى، لا يمكن أن تكون سوى جهد يبذل لإعادة التفكير فى مساره الطبيعى ().

ويرى جرين أن خطوة الإصلاح تتم من خلال مذهبى كانط وهيجل، ولهذا سعى الى وضع أساس أعمق لهذا الاقتناع عن طريق دراسة نقدية مفصلة للفلسفات التجريبية الرائجة فى بريطانيا فى ذلك الوقت().

ولذلك نجد أن النقطة المهمة للدخول فى فكر جرين الفلسفى هى من خلال مقاله المبكر الذى كتبه تحت عنوان " الفلسفة الرائجة وعلاقتها بالحياة" والذى تم نشره عام 1868م.

إن "الفلسفة الرائجة " ، أو الفلسفة الشعبية التى يقول بها جرين فى هذا المقال ، هى تلك الفلسفة التى أقرها مفكرو هذا العصر حينذاك الذين يقارنهم هذا الفيلسوف بالسوفسطائين . لأنهم ، فى رأيه، يعتمدون على البيان والبلاغة السطحية، وبقدرتهم على الإقناع . كما أنهم مدينون بنجاحهم الظاهري الى رفض فحص أفكارهم الأساسية. ومع ذلك فإن هذه الأفكار، إذا ما طبقت على عالم الواقع العيني، فسوف تكون غير مقنعة كلية . إذ أنها لا يمكن أن تطبق فى الحياة بنجاح، ولاسيما فى

ميادين الفن والدين والأخلاق. و فى خاتمة هذا المقال ، يبحث جرين ، عن نظرية ملائمة تفى بالمقصود و تكون فلسفة هيجل مدخلاً لها ().

كما كان جرين أيضا مقتنعا بأن الفلاسفة الذين ينتقدهم قد أخطأوا ، لا فى تصوراتهم الأخلاقية فحسب، بل أيضا فى منهجهم كله، وفى نظرياتهم فى المعرفة والأخلاق والميتافيزيقا().

وهكذا لم يقتصر اهتمام جرين ، فى عملية تطهير الأرض، على المذهب الطبيعى عند معاصريه، بل أنه تجاوزه ، وتركزت جهوده أساسا فى استئصال الجذور التاريخية قديمة العهد بطريقة التفكير هذه، وهى المذاهب التجريبية الكبرى التى سادت فى القرنين السابع عشر والثامن عشر. ولهذا الغرض، كتب جرين مقدمتيه لأعمال هيوم واللتين يمثلان نقداً أساسيا للتعاليم النظرية والعملية للحركة التجريبية من لوك إلى هيوم . كما نجد انتقادات جرين معروضة فى كتابه، مقدمة إلى علم الأخلاق ومبادئ الإلزام السياسي، وفى مقالات أخرى كثيرة().

يذهب جرين , إذن إلى ضرورة البدء بزعزعة القديم وتقويض أركانه, فإذا ما تم ذلك , جاءت الخطوة الثانية التى تتمثل فى المناداة بالجديد وإدخاله فى هذا الفكر بعد أن تهيأ لقبوله إذ لم يعد لديه ما يشغله عنه, أو ما يدعو إلى مقاومة أى جديد.

وهكذا يحاول جرين أن يقوض أساس هذه النزعة التجريبية عند جون لوك ، بل وعند غيره من الفلاسفة الإنجليز التجريبيين . ولذلك فإن جرين يوجه سهام نقده لهؤلاء الفلاسفة كلهم وخاصة للمنهج الذى يستخدمه هؤلاء فى نظرية المعرفة وتفكيرهم المادى القائل بأن مصدر المعرفة الإنسانية هى الحواس.

وقد يكون من الطبيعى أن ينقد توماس هل جرين مثل هذه المذاهب التجريبية بصفة عامة ، ومذهب جون لوك بصفة خاصة مرتئياً فى كل هذه المذاهب ، بردها المعرفة إلى الحس، ضياعاً للحقيقة الواحدة الثابتة غير المرتبطة بزمان أو مقيدة بمكان. فتوماس هل جرين فيلسوف مثالى عقلى يؤكد أسبقية العقل على الحس والتجربة.

كما يؤكد جرين أيضاً ، بل وكل الفلاسفة العقليين والمثاليين معه كما هو معروف، أن مصدر المعرفة هو العقل وليس الحس أو التجربة. ومن هنا كان هجوم جرين على جون لوك شديداً بوصفه أحد كبار ممثلى النزعة التجريبية الإنجليزية والذى جاء بعد توماس هوبز وفرنسيس بيكون ، ولكنه كان أعمق منهما فى توضيح المذهب الحسى والدفاع عنه، فاستحق بذلك أن يدعى زعيمه فى العصر الحديث().

لذلك يبدأ جرين بنقد جون لوك فى نظرية المعرفة. ففى هذه النظرية يحتدم الخلاف ويشتد حول مصدر هذه المعرفة وذلك بين العقليين والمثاليين من ناحية, وبين الحسيين والتجريبيين من ناحية أخرى. وجون لوك من أتباع ، بل من رواد الفريق الثانى القائل بأن معرفتنا كلها ، باستثناء المنطق والرياضيات ، مستمدة من التجربة إذ أنها المصدر الوحيد لكل معرفة ولا يوجد لها مصدر سواه().

لذلك فإن هذا الفريق ينكر وجود أفكار فطرية(*) موجودة فى العقل وسابقة على التجربة، وهى أفكار يولد الإنسان مزود بها وغير مستمدة من التجربة على نحو ما يسلم جميع الفلاسفة العقليين.

ومن هنا يأتى نقد جرين لهذه النظرية التى يقول بها جون لوك باعتباره مؤسساً للنزعة التجريبية فى الفلسفة فيما يرى جرين. وإذا كانت نظرية المعرفة عند لوك تبدأ بما أطلق عليه اسم نظرية الأفكار ، فإن هذه الأفكار ليست أفكاراً فطرية كتلك التى يقول بها ديكارت وغيره من الفلاسفة العقليين بصفة عامة، بل إن هذه الأفكار الأخيرة كانت موضع هجوم عنيف لا هوادة فيه من

جانب جون لوك، ومن غيره من التجريبيين أيضاً. والكتاب الأول من " مبحث فى الفهم الإنسانى" لجون لوك ينصب على إقامة الحجة، كما لو كان ذلك ضد أفلاطون وديكارت والمدرسيين , على أنه ليس ثمة أفكار أو مبادئ فطرية. وفى الكتاب الثانى إلى أن يظهر بالتفصيل كيف أن التجربة تفضي إلى نشأة أنواع مختلفة من الأفكار().

يرفض جون لوك إذن كل قول بأفكار فطرية يولد الإنسان مزوداً بها وهى سابقة على التجربة ، غير مستمدة منها. ولا ينكر لوك أن فى العقل أفكاراً ولكن هذه الأفكار يستمدها العقل من التجربة وليست هى من باطن العقل نفسه كما يزعم العقليون.

وهذا هو ما يحاول لوك أن يدلل عليه فى القسم الثانى من الفصل الأول من الكتاب الثانى حيث يقول ما نصه : " فلنفترض إذن أن الذهن على حد قولنا، صفحة بيضاء خالية من جميع الحروف ، وبدون أية أفكار ، فكيف يحدث أن يملأ بتنوع من الأفكار يكاد ألا تكون له نهاية؟ عن هذا أجيب بكلمة واحدة ، من التجربة , من ذلك تتأسس جميع معارفنا، ومن ذلك تستمد ذاتها نهائياً"().

ويبنى جون لوك هجومه على هذه الأفكار الفطرية ورفضه لها على قانونى الذاتية وعدم التناقض . فالطفل لا يفرق بسرعة بين أمه وبين غيرها من النساء، بل إنه يحتاج إلى وقت لمعرفة ذلك، ويأخذ وقتاً أطول لكى يميز بين الألوان ، ووقتاً أطول بكثير ليكتسب القدرة على التجريد().

ذلك أن جون لوك يرى, فى نظرية الأفكار الخاصة به، أن العلاقة المعرفية علاقة ثنائية. فهناك عقل مدرك ، وهناك أفكار فى ذلك العقل تمثل أو ترمز إلى الشيء المادى الموجود فى العالم الخارجى، ثم هناك أخيراً ذلك الشيء المادي نفسه الموجود فى العالم الخارجي والمراد إدراكه ().

والجدير بالذكر هنا هو أن لوك يريد أن يقول إنني حين أدرك شيئاً مادياً لا أدركه مباشرة, وإنما أدركه بطريق غير مباشر ، فأنا أدركه عن طريق أفكاري عنه. وهذه الأفكار هى ما أدركه مباشرة، أى أن الفكرة عند لوك هى الواسطة بينى وبين عالم الأشياء ونحن على يقين منها، وإذن فمعرفتى للعالم معرفة استدلالية غير مباشرة تعتمد على الحواس().

ويمضى لوك فى محاولة إثبات صدق نظريته هذه، فيقول :" إننا نعى ونشعر بأن فى عقولنا أفكار مثل البياض ، والصلابة، وحلاوة الطعم، والحركة ، والإنسان ، والفيل ونحو ذلك. ونحن نتساءل : كيف وصلت إلينا تلك الأفكار؟().

وعن هذا السؤال ، يجيب هذا الفيلسوف بقوله إنها قد وصلت إلينا من التجربة وعن طريق الحواس . فالإنسان ، فيما يرى لوك، يستمد أفكاره هذه من مصدرين هما أ- الإحساس , ب- إدراك عمل الذهن الذى يمكن تسميته " الإحساس الباطن" فما دمنا لا نستطيع أن نفكر إلا بواسطة أفكار, وما دامت كل الأفكار تأتى من التجربة ، فمن الواضح أنه لا شيء من معرفتنا يمكن أن يسبق التجربة().

وهكذا فإن جون لوك يحلل الخبرة الحسية ويرجعها إلى مصدرين أساسيين وهما أفكار الإحساسات ، وأفكار الاستبطان(). فالإدراك ، عند لوك , هو الخطوة الأولى والدرجة الأولى من درجات المعرفة بمعنى أن الإدراك هو البذرة التى تنتج عنها المعرفة، وبغيره لا يمكن أن تقوم المعرفة.

وعلى كل حال, فإن هذا القول, أو هذه النظرية الجديدة التى أرسى دعائمها هذا الفيلسوف الإنجليزى التجريبى، وهما الاعتماد التام على الإدراك، تُعد أو تعتبر نظرية جديدة كما أنها تعد بمثابة ثورة فى مجال المعرفة.

فالحقيقة أن جون لوك قد لعب دوراً بارزاً وهاماً فى نظرية المعرفة ، وذلك من خلال كتابه الموسوم باسم " مقال فى الفهم البشرى" عام 1690. فبهذا الكتاب ، أرسى لوك نظرية معرفة جديدة فى تاريخ الفلسفة الحديثة بأسرها. ذلك أن هذا الكتاب الذى شغل موضوعه ذهن لوك منذ شبابه المبكر كما يقول هنترميد() يعد بحق بحثاً علمياً منظماً يؤكد فيه صاحبه أن المعرفة كلها تنشأ عن التجربة الحسية().

والواقع أن الحيز الكبير الذى شغلته نظرية المعرفة فى فكر المحدثين ، يرجع أساساً إلى كتابات لوك فى هذه النظرية التى وضع فيها هذا الفيلسوف كل ثقته فى الحواس. وهذه هى الثورة التى حطمت كل ما يقول به العقليون من الفلاسفة من أيام أفلاطون إلى أيامنا هذه.

ففى محاورة " التياتيتوس" , ينفى أفلاطون بشدة أية علاقة بين المعرفة والإدراك . بل إن معظم الفلاسفة الذين جاءوا من بعده ، ومنهم ديكارت فى فرنسا وليبنتس فى ألمانيا ، قد هاجموا هذا القول وأنكروا أية معرفة تكون مستمدة من التجربة. وعلى ذلك فإن هذه التجريبية المتطرفة التى يقول بها جون لوك كانت تجديداً جريئاً( ).

فلقد سلم جون لوك بعجز العقل البشرى وقصوره فى معالجة أو إدراك ما يتجاوز حدوده ، وفى ذلك ، يقول لوك إنه لا ينبغى أن نعدو حدود ما تستطيعه ملكاتنا( ).

فلقد تبين لهذا الفيلسوف أن العقل لا يستطيع أن يعرف كل شىء ، على الإطلاق، ومن ثم حاول تحديد حدوده. وذلك لما رآه من اختلاف آراء الفلاسفة فى ما بعد الطبيعة. ولذلك نراه يقول فى الموضوعات الخاصة بهذا المجال : " إننا قد سلكنا مسلكا باطناً، وأنه كان من الضرورى ، قبل أن نشرع فى القيام بأبحاث من هذا النوع ، أن ندرس قدراتنا الخاصة، ونرى أى الموضوعات تستطيع أذهاننا أن تعالج ، وأيها لا تستطيع "().

كما قام أيضا بتحليل فكرة المكان والزمان واللانهائية والجوهر والسببية والقوة ، لكى يبرهن لنا على أنه حتى هذا الأفكار التى قد تبدو مجردة ، والتى قد يظن أنها لم تأت عن طريق الحواس ، إنما تعتمد هى أيضاً على التجارب ، وأننا إذا محونا منها العناصر التى كسبناها بما مر علينا من تجارب جزئية لزالت ولم يكن لها أثر().

وهذا أيضاً ما رفضه جرين بشدة ، ومن ثم فإنه ينتقد كلا من المعرفة والأخلاق القائمة على المذهب التجريبى والنظريات النفعية التى كانت مهيمنة فى ذلك الوقت . حيث أن جرين يرى أن المعرفة لا يمكن أن تفسر كنتاج من الأحاسيس بعيده عن العقل البشرى، كما يرى أيضاً أن المعرفة تفترض بعضاً من فئات بديهية مسبقة مثل المادة ، والعلاقة السببية ، والمكان والزمان والجوهر والتى تمكننا من فهمنا للواقع الخارجي. فالأشياء المادية وحتى أكثر المشاعر البسيطة لا يمكن فهمها إلا بوصفها علاقات من الأفكار عن طريق الوعى البشرى. لذلك كانت نظرية جرين القائلة أن حقيقة الأشياء لا قوام لها إلا بما يربط بينهما من علاقات().

لذلك ينتقد جرين جون لوك لفشله فى التعامل بشكل ملائم مع مشكلة وجود موضوع التفكير. حيث يذهب جرين إلى أن العقل ليس مجرد وعاء سلبى , ولكن هو فى الحقيقة مصدر المعرفة, وبذلك فإن جرين أعاد أولوية وعينا عن أنفسنا ككائنات واعية، حينئذ يجب أن يدل الوعى على إنسانيتنا. وأن يقف فى بعض ما يتعلق بالواقع النهائى لكمال الوعى الذاتى().

ولهذا يرى جرين أن منذ لوك فصاعداً ، افترض المذهب التجريبي أن مهمة الفيلسوف هى رد معرفتنا إلى عناصرها الأولية أى إلى المعطيات الأصلية، ثم بناء عالم التجربة العادية من جديد من هذه المعطيات الذرية. وذلك بصرف النظر عن الواقعة التى تقول أنه لم يتم تقديم تفسير مقنع

للطريقة التى يمكن أن يجاوز فيها الذهن علاقة الذات والموضوع، ويكتشف المعطيات الأولية التى يفترض أن كلاً من الأذهان والموضوعات الفيزيائية تتكون منها، فإن المذهب التجريبى يؤدى بنا إلى خلاف مستحكم ، فمن جهة لكى نبنى عالم الأذهان والموضوعات الفيزيائية يجب على الذهن أن يربط بين المعطيات الذرية الأولية أى الظواهر المنفصلة ، وبمعنى أخر يجب أن يمارس الذهن نشاطاً وفاعلية. ومن جهة ثانية لا يمكن تفسير نشاط الذهن بناء على مبادئ تجريبية ، لأنه هو نفسه يرتد إلى مجموعة من الظواهر. فكيف يستطيع أن يبنى نفسه().

وعلى الرغم من أن المذهب التجريبي يزعم تفسير المعرفة البشرية، فإنه لا يفعل شيئاً فى واقع الأمر، وذلك لان عالم التجربة العادية يفسر من حيث انه بناء ذهنى من انطباعات منفصلة، وليست لدينا طريقة لمعرفة أن البناء يمثل حقيقة موضوعية على الإطلاق، ومع ذلك فإن المذهب التجريبى يؤدى بنا لا محالة إلى نزعة شكية().

والباحثة هنا لا ترى فى قول جون لوك مساساً بقيمة العقل أو حطاً من قدره ، بل إنه قول صحيح وتعبير عن حقيقة يعترف بها أكبر الفلاسفة العقليين من أمثال الفيلسوف الألمانى الكبير إيمانويل كانط (1724- 1804). ألم يشك كانط فى قدرة العقل على معرفة ما يتجاوز حدوده ؟ ألم يذهب هذا الفيلسوف الألمانى إلى ضرورة تحديد حدود العقل لمعرفة ما يمكن أن يعرفه ، وما لا يمكن أن يعرفه؟ والحقيقة أن هذا هو أحد معانى النقد عند كانط صاحب الفلسفة النقدية كما هو معروف.

وخلاصة القول أن ما يقول به لوك هنا لا ينبغى أن يفهم على أنه هجوم على العقل بقدر ما هو تقييم صحيح لوظائفه وقدراته, وهو قول أيده بعد ذلك كانط الذى جاء بعده بحوالى قرن من الزمان تقريباً.

وعلى أيه حال , فليس لهذا القول علاقة باعتقاد لوك اليقيني وإنكاره إنكاراً تاما أن يكون ثمة شيء من معلوماتنا مفطوراً فينا , ويذهب إلى أن كل معارفنا مهما كان نوعها ، بل إن كل ما يستطيع الإنسان أن يدركه بعقله هو، فى حقيقة الأمر، مستمد من التجربة. فكل أفكارنا، بسيطة كانت أو مركبة, قد استقيناها من أمثلة جزئية جاءتنا عن طريق الحواس الخمس منفردة أو مجتمعة.

حقاً أن لوك كان حريصاً دائما على تأكيد هذه النزعة التجريبية فى نظرية معرفته مما حدا بالمؤرخين لفلسفته إلى أن يعتبرونه أول من وضع أساس المذهب التجريبى الإنجليزي الذى اصطبغت به مذاهب كل الفلاسفة الإنجليز الذين جاءوا من بعده.

ولكن رغم ذلك ، فإننا لا ننكر بل وكل دارسِ مدقق فى فلسفة هذا الفيلسوف يمكنه أيضاً أن يتبين أن ثمة شعاعاً عقلياً خفياً يسرى فى أحشاء هذا المذهب التجريبى الذى أقامه صاحبه ، وأرسى بنيانه على أساس تجريبى محض. بل إن لوك نفسه يدرك هذا عن وعى إذ كثيراً ما كان يعبر عنه تعبيراً واضحاً لا تورية فيه. فالإحساس عند لوك لا يقدم لنا معرفة حقيقية بالأشياء كما هى فى الواقع, بل إنه يقدم للعقل مواداً يشكل منها معرفة. وعلى ذلك فإن مصدر المعرفة يكون عنده هو الحواس والعقل معاً على نحو ما سيقول كانط فيما بعد().

والحقيقة أن الباحثة ترى أيضا أن لوك كان مضطراً إلى أن يحسب حساباً للعقل ، ولم يكن بقادر على أن يتجاهل دوره فى عملية المعرفة. ولذلك فإن العقل يلعب دوراً واضحاً فى كثير من مواضع فلسفته، دوراً أشد مما كان هذا الفيلسوف يعلم أو يتوقع.

فلقد توسع لوك فى معنى التجربة ، وجعلها تشمل التفكير أيضاً . وبعبارة أخرى، فإن كل تجاربنا راجعة إما إلى الإحساس أو التفكير . وكل لفظة جوفاء لها مدلول حسى أو عقلى ، فهى لفظة فارغة من المعنى أو لفظة جوفاء ( ). " والحق أن لوك هو أول من اهتم بالبحث عن أصول

المعرفة فى الذهن الإنسانى, وبفضله أصبح علم النفس , وخاصة علم النفس التجريبى, العلم الأساسى لكل العلوم الفلسفية الأخرى. ولقد أوجد لوك صورة شعبية للدراسات النفسية التجريبية بدلاً من الدراسات الميتافيزيقية الديكارتية التى بدت فى نظره عديمة النفع والفائدة"()

وعلى كل حال ، فإن شهرة لوك ترجع أساساً ، وفى المقام الأول ،إلى كتابه " مبحث فى الفهم الإنسانى" الذى هو أهم كتبه . يتحدث لوك فى كتابه هذا عن العقل ، ويعترف به صراحة بل ويعلى من شأنه. حقاً أن تعصبه لمسيحيته يغلب عليه أحيانا, ومن ثمة يقول : " الشهادة العارية للوحى هى أعلى يقين". ولكنه، فى مناسبة أخرى أو فى موضع آخر يقول: " يجب الحكم على الوحى بالعقل". وعلى ذلك فإن العقل يبقى فى النهاية عنده هو الأعلى(). وهو يختتم الفصل الذى كتبه عنه بحماس بقوله : " يلزم أن يحكم العقل الوحى"().

أما عن مفهوم العقل عند لوك أو ما يعنيه العقل عنده ، فإن برتراندرسل يقول :" إن ما يعنيه لوك بالعقل يلزم جمعه من كتابه بأسره. فهناك , والحق، فصل عنوانه " عن العقل" , ولكنه يهتم أساساً بإثبات أن العقل لا يتألف من استدلال قياسى, ويتلخص فى هذه الجملة:" لم يكن الله مقترا على الناس بحيث جعلهم مجرد مخلوقات بساقين, وترك لأرسطو أن يجعلهم عقلاء". فالعقل , كما يستخدم لوك الكلمة، يتألف من جزأين : أولاً, بحث عما تكونه الأشياء التى نعرفها بيقين، وثانياً استقصاء القضايا التى من الحكمة أن نستقبلها فى العمل، وإن يكن لها فقط احتمال لا يقين يعززها. إن أسس الاحتمال ، على حد قوله , اثنتان : اتساق مع تجربتنا الخاصة بنا, أو شهادة تجربة شخص آخر"().

وهكذا يفرض العقل نفسه على جون لوك , ويتغلغل فى ثنايا فلسفته التجريبية الصلبة دون أن يستطيع منه فراراً ولا فكاكاً. والباحثة ترى أن اقتحام العقل لمذهب تجريبى محض ، سواء أكان مذهب لوك أو مذهب غيره من التجريبيين ، أمراً طبيعياً وليس مستغرباً أو مستهجناً.

ذلك أن الناظر فى تاريخ الفلسفة ، منذ بدئه حتى الآن ، لن يجد مذهباً من المذاهب الحسية التجريبية قد أغفل أو تجاهل دور العقل تماماً. بل إنه واجد لا محالة أن العقل فى هذه المذاهب يلعب دوراً بطريقة أو بأخرى وإن كان فى بعض الأحيان من وراء حجاب. عن كل ما يمكن أن يفعله الفيلسوف التجريبى هو أن يجعل للحس مركز الصدارة فى مذهبه. أما العقل عنده, فيأتى فى المرتبة الثانية ولكنه لا يستطيع أن يلغى وجوده كلية. والدليل على ذلك ما نلمحه عند طاليس وهو أول فيلسوف عرفه التاريخ الذي ذهب إلى أن أصل العالم والمبدأ الأول للأشياء هو الماء الحسى الخالص , لكنه رجع مرة أخرى وقال أن الماء الذي يقصده هو الماء الحى وليس الماء الذي نعرفه وفى ذلك نجد لدية نظرة عقلية وأن كانت غير ظاهرة ويغلب عليها الطابع الحسى التجريبى .

وكذلك الحال بالنسبة للفيلسوف العقلى، الذى يبدو فى الظاهر أنه لا يعترف إلا بالعقل وحده ، فإنه لا يستطيع أن ينكر وجود الحس تماما أو أن يلغيه. بل إن الحس يلعب دوره أيضاً فى مثل هذه الفلسفة العقلية بطريقة خفية لا يستطيع أو لا يملك الفيلسوف العقلى صدها. وأكبر مثل على ذلك الفيلسوف الفرنسى رينيه ديكارت الذى جاهد لكى يقيم مذهباً كاملاً على أساس من العقل وحده حتى شاع عنه، كما هو معروف ، أنه أبو الفلسفة العقلية.

ولكن هل استطاع ديكارت أن يفلت من قبضة الحس؟ وهل استطاع أن يبنى كل عناصر فلسفته على أساس من العقل وحدة؟

حقاً أنه استطاع أن يفعل ذلك فى يقينه الأول، وهو إثبات وجود النفس. وكذلك الحال أيضاً فى يقينه الثانى، وهو إثبات وجود الله لأنه يكون بوسعه، فى هذا اليقين أو ذاك، أن يستغنى عن الحس تماما دون أن يؤثر ذلك على تسلسل البرهان عنده.

ولكن هل كان بوسع ديكارت أن يغمض العين عن الحس فى يقينه الثالث الذى أثبت فيه وجود العالم المادى الخارجى؟ بالطبع لا, ولذلك لعب الحس دوره فى هذا اليقين الثالث . رغم أنف هذا الفيلسوف الذى لم يكن ليستطيع أن يثبت وجود العالم الخارجى بالاعتماد على العقل وحده ، ودون مساعدة الحس. وعلى ذلك فإن العقل والحس يلعبان دورهما فى كل المذاهب الفلسفية أياً كان نوع هذه المذاهب تجريبية كانت أم عقلية، وإن كانت الغلبة فى المذاهب التجريبية , للحس وفى المذاهب العقلية للعقل. فليس غريباً إذن أن يعترف لوك بالعقل ، وإن لم يجعل له الصدارة . إلا أن ذلك يجعل من نقد جرين له نقداً فعالاً فيه إذ لم يلتفت جرين إلى هذا الشعاع العقلى الذى يسرى فى فلسفة لوك.

ولكن يبدو أن ضعف إيمانه بالنزعة العقلية قد حال بينه وبين الثورة على تراث بلده التجريبي أو التمرد عليه، فظل وفياً له , محافظاً عليه , مفكراً فى فلكه. وذلك على العكس تماما من توماس هل جرين الذى دفعته قوة إيمانه بالمثالية، واقتناعه بها إلى الثورة على التجريبية ونقدها ثم تفنيد أقوالها والخروج عليها.

والحقيقة أنه إذا كانت شهرة لوك ترجع أساسا وفى المقام الأول إلى كتابه " مبحث فى الفهم الإنساني" الذى هو أهم كتبه, إلا أن هذه الشهرة ترجع أيضا , وبنفس القدر, إلى مواقفه السياسية. فلقد لعب لوك دوراً كبيراً فى سياسة بلاده إلى درجة يمكن القول فيها بحق إنه مؤسس لليبرالية الفلسفية فى السياسة, كما أنه مؤسس للنزعة التجريبية فى الفلسفة , وفى نظرية المعرفة على وجه التحديد.

والجدير بالذكر حقاً هو أن آراء هذا الفيلسوف السياسية ظلت مسيطرة على بلاده, ومطبقة فيها لسنوات طويلة بعد الثورة التى قامت فيها . بل وأكثر من ذلك، فإن هذه الآراء قد تجاوزت نطاق بلاده إلى خارجها حتى أنها تغلغلت فى الدستور الأمريكي بعد بعض التطورات التى تمت عليها بفضل مونتيسكو . كما قام فولتير بترجمة آراء لوك السياسية هذه لأبناء وطنه فى " رسائل فلسفية" مما أتاح لها نوعا من الذيوع والانتشار فى فرنسا أيضا.

موقف جرين من مشكلة التقابل بين " ما هو حقيقى " و " ما هو من فعل العقل".

لقد وحد لوك بين ما هو حسى وما هو حقيقى, حيث يقرر أن الإحساسات البسيطة هى وحدها الأشياء الحقيقية باعتبارها الآثر الثابت لما تصدر عنه من أشياء الواقع, وبالتالى تكون كذلك الأفكار البسيطة, لأنها تطابق هذه الإحساسات أو قوى الاشياء فينا.

أما عن العلاقات فيذهب إلى أنها ليست بالأفكار البسيطة ولا بالنماذج الأصلية لها, ولكن العقل يربط بين فكرة بسيطة وفكرة أخرى بسيطة مثلها ليكون فكرة مركبة, لكن هذه الفكرة المركبة لا يوجد ما يقابلها فى العالم الخارجى بعكس الفكرة البسيطة , بمعنى أن هاتين الفكرتين البسيطتين لا تكونان متحدتين معا فى عالم الواقع بنفس العلاقة التى تربطهما فى الفكرة المركبة().

ومن ثم ينتقد جرين هذا القول عند لوك حيث يقول أننا إذا تساءلنا عن ما هو حقيقى ، فإنه لا يمكننا الإجابة عنه بأن الأفكار البسيطة وحدها هى التى تتمشى مع الوجود الحقيقى للأشياء , بل لابد من النظر إلى ما بينهما من علاقات ، لأنه بدون النظر إليها سوف لا يمكننا تميز الفكرة البسيطة عن فكرة أخرى مثلها ، فضلاً عن أنه بتجريد هذه الفكرة من كل ما يقوم على نوع ما من العلاقة , سوف لا يتبقى لنا منها شيء, وبالتالى سوف لا تقدم أى وصف أو كيفية للنماذج المادية التى تمثلها. كما يرى جرين من جهة أخرى أنه ليس أدل على ضرورة النظر إلى العلاقات ما يصرح به لوك ذاته , لأن نفيه لواقعية العلاقات التى يضعها العقل بين أفكاره البسيطة , أثناء تكوينه لأفكاره المركبة إنما يقوم على افتراض أن هناك علاقات حقيقية فى عالم الواقع فى مقابل علاقات العقل , أو بعبارة أخرى الطبيعة ذاتها نظام من العلاقات الحقيقية. وذلك الافتراض هو الذى ينطوى على تطوير

للطبيعة على النحو الذى يحكم عقولنا , ويوجه عملياتها الموحدة أو الرابطة أثناء تحقيقها معرفة بأشياء الطبيعة ().

كما يذهب جرين أيضا من جهة ثالثة , إلى أنه ليس هناك ما يعصم العقل من الوقوع فى الخطأ, فقد ينسب إلى شيء ما علاقات غير العلاقات التى تحدده كما هو معروف فى الواقع, بمعنى أن العقل قد ينسب شيئاً إلى شيء آخر ويخلط بينهما , أو يخلط حقيقة بأخرى. وبناء على ذلك , لا يكون خلطه بين ما هو حقيقى وما هو غير حقيقى , وإنما يكون هذا الخلط بين شيئين حقيقيين . وليس هذا فحسب , وإنما يرى جرين ما هو أكثر من هذا , إذ أنه يرى أن مثل هذا الخلط بمثابة شيء حقيقى لا يقل واقعية عن أى شيء آخر حقيقى, لأن له مكانته التى يتحقق بمقتضاها تقدم العقل الإنسانى ().

وخلاصة القول أن ما هو غير حقيقي , الذى يطابق بينه وبين عمل العقل , هو فى الواقع اسم " للاشيء" أى ليس له وجود على الأطلاق حتى نقابل بينه وبين ما هو حقيقى. وما دام الوجود مقصوراً فقط على ما هو حقيقى، فالحقيقى يشمل كل شيء , ومن ثم فإن السؤال ما هو حقيقى؟ هو سؤال غير ذى معنى على الإطلاق. والأحرى بنا أن نستبدل بهذا السؤال سؤال آخر , وهو السؤال عن متى يكون الشيء حقيقياً ؟ لتكون الإجابة عن طريق العلاقات التى يكون فيها حقيقة بالنسبة لحقائق وأشياء الواقع .غير أنه إذا كان هناك مجال للخطأ أو الخلط بين ما يحدد حقيقته وبين ما يحدد غيره من الأشياء ، فإن مثل هذا الخطأ سوف ينكشف عن طريق ما يطرأ على العلاقات , التى تحدده, من تغير, إن كل ما هو حقيقى يكون ثابتا دائما من ناحية ما يربطه بغيره من علاقات().

إذن فقد جعل جرين صفة الثبات مقصورة على العلاقات فحسب, دون الإحساسات والأفكار البسيطة, فإن هذا يرجع من ناحية , إلى أنه أراد أن يهدم الأساس الذى بنى عليه لوك الحكم بالمحمول " حقيقى" على الإحساسات البسيطة وبالتالى الأفكار البسيطة بإعتبارها النتيجة الثابتة لأشياء الواقع, كما يرى من ناحية أخرى إلى أنه يملك الدليل على صدق ذلك. وحجته فى ذلك تتلخص فى تأملنا للإحساسات البسيطة. فإذا تأملنا إحساساً ما بسيطاً, لوجدنا أن هناك أطرافاً ثلاثة هي الإحساس من جهة , والشروط المادية التى تصدر عنها من جهة ثانية, ثم العلاقات بينهما من جهة ثالثة. ومن ثم يعلن جرين أن الأشياء لا قوام لها إلا بما يربط بينها من علاقات ().

موقف جرين من قول لوك بالجواهر المادية.

لقد جذبت نظرية لوك فى الجواهر المادية انتباه جرين مما دفعه إلى نقدها, حيث أنه لا ينكر وجود جواهر مادية. ولكنه عندما يتساءل عن ماهية الجوهر , يجيب إجابة تفيد أنه ذلك العنصر الدائم الذى يمثل هوية مع ذاته – أى ما هو باق- بينما تتابع مظاهره أو أعراضه ، والذى لا تكون هذه المظاهر العديدة مجرد مظاهر بالنسبة له وإنما هى بمثابة تغيرات مترابطة. كما أن وجود هذا الجوهر متوقف على تلك العلاقة التى تربط بين مظاهره المتتابعة فى نظام واحد يجعلها بمثابة تغيرات, ومعنى هذا أنه لا يمكننا افتراض أن الجوهر يوجد أولاً ثم ينتج عنه تغيرات بعد ذلك، وإنما يتمثل وجود الجوهر فى هذه التغيرات أو العناصر المتتابعة، فلا وجود له بعيداً عن هذه التغيرات على نفس النحو الذى لا يكون فيه للمعلول, وجود بدون علته. وعلى ذلك فإن القول بالمادة كجوهر، إنما نستبدل تحديدنا لها بعلاقات ما بتحديد آخر, ولكن وجودها فى كلتا الحالتين يعتمد على فعل الوعى أو العقل , وهذا هو جوهر فلسفته في نظرية المعرفة كما سيأتى الحديث عنها لاحقاً().

الخاتمة:

وهكذا ينتهى جرين بنقد الفلسفة التجريبية بصفة عامة وفلسفة جون لوك بصفة خاصة باعتباره مؤسس الفلسفة التجريبية في انجلترا،كما يذهب كثيراً من مؤرخى هذه الفلسفة، حيث ينتقد جرين فلسفة لوك في نظرية المعرفة وذلك لان لوك قد أهمل دور العقل في المعرفة وان المعرفة الحقيقية هي المعرفة الحسية ، كما أكد لوك ايضا على أن العقل صفحة بيضاء ولا يوجد شيء سابق على التجربة. وهو ما يرفضه جرين بشدةلان العقل هو مصدر المعرفة وحده.

قائمة المراجع

أولاً: المراجع الأجنبية:

1- Donald M. Borchert: Encyclopedia of Philosophy, vol 4, 2nd Edition, Thomson Gale, 2006.

2-Edward Craig : the shorter routledge encyclopedia of philosophy ,Routledge Taylor& Francis Group London and New York, 2005.

3- Green. T. H: Prolegomena to Ethics , Edited by A . C .Bradley , 5 edition , with a preface, Oxford , at the clarendon , Press, 1906.

4- Locke, John : An Essay Concerning Human understanding, edited by, S.A. Lamprecht. Scribers'. New York.1928, p.96-102.

5- Thomas Y: Thomas Hill Green political philosophy,(Hume and Locke) ,Crowell Company,1968.

6-W. R. sorely: A history of English Philosophy, Cambridge, at the university press, 1937 .

ثانياً: المراجع العربية:

1- إبراهيم مصطفى إبراهيم: الفلسفة الحديثة من ديكارت الى هيوم- دار الوفاء للطباعة والنشر – الإسكندرية- 2001.

2- إمام عبد الفتاح إمام : الهيجلية الجديدة – التنوير للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان – 2011.

3- أمل مبروك : مفهوم الحقيقة عند برادلى (رسالة دكتوراه) - إشراف د/ نازلى اسماعيل - 1999.

4- برتراندرسل : تاريخ الفلسفة الغربية – الكتاب الثالث " الفلسفة الحديثة" ترجمة د/ محمد فتحى الشنيطى – الهيئة المصرية العامة للكتاب – 1977.

5- رودلف ميتس: الفلسفة الانجليزية فى مائة عام، ترجمة د/ فؤاد زكريا ، مراجعة د/ زكى نجيب محمود ، الجزء الأول ، مطبعة الرسالة .

6- زكى نجيب محمود : قصة الفلسفة الحديثة –مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة – 1936.

7- فريدريك كوبلستون: تاريخ الفلسفة (المجلد الثامن) من بنتام إلى رسل – ترجمة د/ محمود سيد أحمد – مراجعة د/ إمام عبد الفتاح إمام – المركز القومى للترجمة – القاهرة – الطبعة الأولى – 2009.

8- كونتجهام : العقلانية فلسفة متجددة – ترجمة محمود منقذ الهاشمى – مركز الإنماء الحضاري- حلب – ط1-1997 .

9- محمد على أبو ريان : تاريخ الفكر الفلسفى (الفلسفة الحديثة) الجزء الرابع - دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية.

10- نازلى إسماعيل : النقد فى عصر التنوير – ط 3- دار النهضة العربية – القاهرة – 1976.

11- هنترميد : الفلسفة أنواعها ومشكلاتها – ترجمة د/ فؤاد زكريا – دار النهضة للطباعة والنشر- القاهرة – 1975.

12- وولف: فلسفة المحدثين والمعاصرين ،الترجمة العربية أبو العلا عفيفى ، الطبعة الثانية, الرسالة الخامسة (خلاصة العلم الحديث) مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

13- يوسف كرم : تاريخ الفلسفة الحديثة, دار القلم , بيروت.